British Journal of Translation, Linguistics and Literature (BJTLL)
ISSN: 2754-5601 (Online); ISSN: 2754-5598 (Print)
DOI: 10.54848/bjtll
Journal Homepage: https://journals.ukbrighthorizons.co.uk/index.php/bjtll/about

A Stylistic-Cultural Reading of Enani's English Translation of Taha Hussein's Marginalia on the Prophet's Biography

ترجمة محمد عناني للجزء الأول من "على هامش السيرة" لطه حسين إلى الإنجليزية: دراسة أسلوبية ثقافية

Mustafa Riad,
Professor,
Faculty of Arts, Ain Shams University, Egypt.
Corresponding email: mrmriad@art.asu.edu.eg

ARTICLE DATA

Received: 2 October 2022
Accepted: 30 November 2022
Volume: 2
Issue: (4) Autumn 2022
DOI: **10.54848/bjtll.v2i4.46**

KEYWORDS

Taha Hussein, Muhammad Enani, Marginalia on the Biography of the Prophet, Modern Translation Theory, Sarah Enani, Jules Lemaître.

ABSTRACT

An English translation of Taha Hussein's 'Ala Hamish Al Sira [Marginalia of the Prophet's Biography] (2021) by Muhammad Enani appeared in the "Arabic Literature and Thought" series. Enani introduced readers of English to Hussein's literary version of the Prophet Muhammad's (PBUH) biography in a translation in which he attempted to reveal aspects of Hussein's modernity in both style and handling of religious subject matter. The present paper explores Hussein's progressive thought and how Enani translated his work to foreground Hussein's avant-garde approach to dealing with the Prophet's biography. The paper focuses on Enani's effort to complement earlier Orientalist approaches in the field in a revisionist reading of whatever blemished their works. Enani's contribution is highly valued as it is exerted by a well-established professor of translation studies and a practising translator. Furthermore, Enani's Arabo-Islamic identity and his profound knowledge of both Arabic and English enabled him to produce an equivalent translation of the original text.

صدرت في عام 2021 عن سلسلة "فِكر العربيةِ وآدابها" Arabic Literature and Thought، بجامعة القاهرة، الترجمةُ الإنجليزية التي قدَّمها محمد عناني لما صاغه طه حسين في شكل أدبي من جوانب من السيرة النبوية الشريفة في الجزء الأول من "على هامش السيرة" (1933) Marginalia on the Prophet's Biography. وتعَّد تلك الترجمة الثالثة فيما أصدر عناني من ترجمات إنجليزية لأعمال مختارة من تراث طه حسين، منهما عملان يتصلان بالسيرة النبوية والبيئة المحيطة بها على نحو مباشر، هما ترجمته لـ"الوعد الحق" الصادرة في عام 2016 The Fulfilled Promise (1949)، وترجمة الكتاب موضع هذا البحث الصادر في 2021. أمَّا الثالثة فهي ترجمته لعمل إبداعي كان طه حسين قد ألَّفه على شكل رسائل متبادلة أحد أطرافها شيخ أزهري يتقدم للزواج من فتاة على قدر ملحوظ من الثقافة بالمقارنة بفتيات زمانها في أوائل القرن العشرين فقد تخرجت في مدرسة المعلمات، فينتقد طه حسين ما يتصف به هذا الشيخ من انتهاز للفرص وما يدفعه من أطماع مادية، ويسلط الضوء على معارضة الفتاة لتلك الخِطبة لأسباب تتصل بما استلمهته من ثقافتها الحديثة. وعنوان العمل الثالث هذا هو "خطبة الشيخ" The Shaykh's Marriage Proposal وقد نشره المؤلف على أجزاء في صحيفة "السفور" ما بين عامي 1916 و1917.

ويهدف هذا البحث إلى استجلاء أوجه التجديد في الجزء الأول من "على هامش السيرة"، وهي نواح سعى من خلالها حسين لتقديم أدب حديث قائم على تراثنا الديني، وإلى النظر في ترجمة عناني لهذا العمل على نحو يبرز هذا الجانب من فكر طه حسين الذي اتسم بالاتجاه إلى التجديد في موضوعه وأسلوبه.

ويُعَّد طه حسين مفكرًا ينتمي إلى الحركة الفكرية الحديثة التي أنتجها التعليم الحديث في مصر منذ عهد إسماعيل. وكان هذا الاتجاه في التعليم قد تعزَّز بنجاح المساعي الوطنية في مطلع القرن العشرين لإنشاء جامعة مصرية حديثة، وهي الجامعة الأهلية في عام 1908. انتقل طه حسين إلى الجامعة الأهلية فور افتتاحها، مُخلفًا وراءه دراساته التقليدية في الأزهر، ليُحصِّل علومًا في الحضارة الإسلامية، والتاريخ، والجغرافيا على أسس منهجية عصرية. وقد ظفر حسين بشهادات الجامعة الجديدة وتوّجت

Published by UK Bright Horizons LTD. Copyright © the author(s).
This is an open access article under CC BY License
(https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

مسيرته العلمية فيها بنيل درجة الدكتوراه في عام 1914، ودار موضوع أطروحته حول أبي العلاء المعري. ثم ابتُعث إلى فرنسا ليحصل مزيدًا من العلوم الحديثة فدرس علم الاجتماع والتاريخ اليوناني والروماني وأعَّد خلالها أطروحة ثانية لنيل الدكتوراة في «الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون» (1918). وما لبث أن عاد إلى مصر في عام 1919 ليعين أستاذًا للتاريخ اليوناني والروماني في الجامعة ثم أستاذاً للأدب العربي في عام 1925 حين تحولت الجامعة الأهلية إلى الجامعة المصرية تحت رعاية الدولة.

وقد أثار طه حسين منذ إعداده لأطروحته عن أبي العلاء المعري ثائرة الدوائر المحافظة في المجتمع المصري آنذاك؛ فقد اتهم بالمروق والزندقة إذ تعامل مع الموروث بمناهج بحثية حديثة أطلقت فكره في نقد ذلك الموروث وإعادة تقييمه. وما إن شغل منصبه أستاذا بالجامعة المصرية حتى أثار ضجة أبعد أثرًا حين نشر كتابه "في الشعر الجاهلي" (1926) الذي ذهب فيه إلى انتحال معظم ما وصلنا من شعر جاهلي، وتعرض للثوابت بمنهج ديكارت الذي يقوم على الشك فيما وصلنا من مسلمات.
ولا شك أنَّ طه حسين في تلك الفترة من سيرته العلمية كان يُغلِّب ما اكتسب من علوم ومناهج عصرية على ما حصَّل في دراساته التقليدية بالأزهر الشريف (انظر الشِّلق، 7). فقد كان يتتبع خطى رجال عصر النهضة الأوروبي في العودة إلى الأصول وبث الحياة فيها لتواءم العصر الجديد وتنهض به. وقد شمل توجهه هذا نقد ما تواتر من فكر رعاه الأزهر على مر العصور ومن لغة عربية التزم المحافظون في استخدامها بأساليب القدماء.

ونطالع في مقال نشره طه حسين بالفرنسية تحت عنوان "الاتجاهات الدينية في الأدب المصري المعاصر" في عدد خاص من مجلة "دفاتر من الجنوب" Cahiers du Sud في سنة 1947 عن "الإسلام والغرب" L'Islam et l'Occident ، خلاصة تجربته في مؤلَّفه "على هامش السيرة" الذي استلهم عنوانه من الناقد الفرنسي جول لوميتر* Jules Lemaître. يتطرق حسين أولًا إلى مادة الكتابة ولغته فيقول في سياق افتتانه بجول لوميتر "أما كتاب جول لوميتر، فإنَّني شغفت به فطرحت على نفسي السؤالين التاليين: هل إحياء أخبار وأحاديث عصر البطولة في الإسلام أمر ممكن أم غير ممكن؟ هل بوسع اللغة العربية الأدبية المعاصرة، لم ليس بوسعها، أن تساعد على إحياء هذه الأخبار والأحاديث؟" (من الشاطئ الآخر، 67).

ويسجل حسين ما يراه نجاحًا في مسعاه الذي واجه به "موقفًا شديد التناقض منذ نهاية القرن [التاسع عشر] فقد دفعته ظروف الحياة الحديثة [العالم العربي المعاصر] إلى الأخذ بالحضارة الغربية ولكنه بقى مع ذلك مستمسكًا بالتراث متعلقًا بالمثل العليا الدينية. وهو يرى أن هذا النجاح تمَثَّل في أن هذا العالم العربي قد "تهيَّأ لتذوق التراث بعد تجديده وإعادة النضرة إليه، ولأن يحيا ماضيه من جديد ناظرًا إلى المستقبل بحرية (68).

ويتميز عمل طه حسين في أجزائه الثلاثة باختلافه عن الرواة التقليديين للسيرة النبوية الشريفة وخصوصًا سيرة ابن هشام؛ إذ يقول حسين في مقدمة الجزء الأول، "هذه صُحف لم تُكتب للعلماء ولا للمؤرخين، لأني لم أرد بها إلى العلم، ولم أقصد بها إلى التاريخ. وإنَّما هي صورة عرضت لي أثناء قراءاتي للسيرة فأثبتها مسرعًا، ثم لم أرَ بنشرها بأسًا. ولعلي رأيت في نشرها شيئًا من الخير، فهي ترد على الناس أطرافًا من الأدب القديم قد أفلتت منهم وامتنعت عليهم، فليس يقرؤها منهم إلا أولئك الذين أتيحت لهم ثقافة واسعة عميقة في الأدب العربي القديم" (هـ، مقدمة على هامش السيرة، جـ 1).

وقد تصدى محمد عناني مترجمًا لهذا العمل ذي الخصوصية اللغوية الأدبية الثقافية وقد اكتملت عدته، وذلك سواء في مجال الترجمة ممارسًا أو في مجال دراسات الترجمة ناقدًا ومجددًا. كما صارت تلك العدة التي تمثَّلها طوعَ رؤية له ناضجة تجمع بين القديم والجديد وتستشرف المستقبل.

تتصدر الترجمة "تمهيد" أو "توطئة" (3) يُقَدِمُ فيها محمد عناني لسلسلة "فكر العربية وآدابها،" يليها "مقدمة" (5 – 19) تتناول بالشرح والتحليل عمل طه حسين نفسه وسياسات الترجمة التي اتبعها هو نفسه في نقل العمل إلى الإنجليزية. ولكن جهد عناني في تقديم "على هامش السيرة" للقارئ الأنجلوفوني يبدأ في مرحلة تسبق التمهيد والمقدمة كليهما، ويتجلى في اختيار العنوان الإنجليزي: Marginalia on the Prophet's Biography ، واختياره لتصميم الغلاف. أمّا العنوان فإن عناني وُفِق أيما توفيق في اختيار كلمة marginalia؛ إذ إنَّها كلمة لاتينية مستحدثة ظهرت لأول مرة في القرن التاسع عشر لتشير إلى ما يُضاف من هوامش إلى الأعمال الكلاسيكية التي قد يعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر (انظر معجم كمبردج). وبالتالي فإن تلك الكلمة تستقر استقرارًا في عنوان الكتاب لتشير إلى هوامش المحدثين على كتابات

*جول لوميتر (1853 – 1914) ناقدٌ فرنسي معروف بعدائه للمذاهب الأدبية مفضلًا عليها التذوق الفردي القائم على المعرفة والذائقة الأدبية الخاصة. من أهم ما نُشر له محاضراته عن جان جاك روسوJean-Jacques Rousseau ، الفيلسوف الفرنسي، وجان راسين Jean Racine، مولف التراجيديا، وكتابه عن الأب فنلون François Fénelon. أمّا كتاب لوميتر الذي استلهم حسين عنوانه فهو "على هامش كتب قديمة" (1905 – 1907) En marge des vieux livres

القدماء. أما الغلاف فتزينه لوحة من تصميم سارة عناني جمعت بين قمم الجبال الموحية بجبال مكة المكرمة، وأُفُقٍ يبشر بشروق الشمس، فكأنما أعلنت اللوحة فنيًا عن فجر الإسلام وضحاه بمولد الرسول عليه وعلى آله الصلاة والسلام، وبزوغ النور الهادي في بيئة جدبة قاحلة ربما كانت تمثل الإنسانية وقت المولد النبوي الكريم.

يحدد عناني في مقدمة السلسلة هدفها الأساسي، فيقول إنها تستكمل أو تضيف إلى ما بدأه المستشرقون وجلَّهم من الأوروبيين ممن ترجموا آثار الفكر العربي إلى الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، ورسموا صورة للعرب ما زالت حاضرة إلى عصرنا. كما يضع معايير اختيار الأعمال التي يقع عليها الاختيار لترجمتها، فإن كانت أعمالا أدبية وجب أن يتوفر فيها ما يُغري القارئ الأجنبي بقرائتها، إذ تتفق وذائقته وحساسية التلقي لديه readability. أمَّا إذا كانت أعمالًا متخصصة في معارف شتى فإنَّ المعيار هو ما للعمل من أهمية في تخصصه. وبشكل عام فإنَّ السلسلة تهدف إلى تقديم ترجمة أمينة، وإتاحة الأعمال الفكرية العربية مترجمة للقراء الأنجلوفونيين والمتخصصين منهم بخاصة، وتزويد تلك الأعمال المترجمة بمقدمات شارحة (3).

أمَّا المقدمة الوافية التي صدَّر بها عناني ترجمته فتحوي إشارات نظرية يجدر بالباحثين في دراسات الترجمة وعلم الأسلوب أن يضموها إلى ما سبق إليه في أعماله النظرية ذات الصلة بالتنظير للترجمة وممارستها. وجدير بالذكر أن إسهامات عناني النظرية في مجالي نظرية الترجمة وممارستها تتوزع بين المنهج اللغوي والمنهج الثقافي.*

فإذا ما انتقلنا إلى الترجمة ذاتها، على ضوء ما تقدم، فإننا نلحظ أنَّ عناني يضع في اعتباره مفهوم الأدب الحديث الذي راج في عصر طه حسين في المقام الأول، ثم يولي عناية خاصة لأسلوب طه حسين بصفة خاصة. ونرى ما يتصل بأدب العصر ولغته في ملحوظة دقيقة وردت في "نظرية الترجمة الحديثة" لعناني، وذلك في سياق الحديث عن تطور الترجمة عن اللغات الأوروبية في عشرينيات القرن الماضي:

ولم يُكتب للترجمة عن اللغات الأوروبية في الأدب أن يشتد ساعدها حتى كتب طه حسين مقدمته الشهيرة لكتاب أحمد أمين "فجر الإسلام" وأعلن فيها اختلاف مفهوم الأدب في العالم عن مفهومنا التراثي القديم الذي ساد عصور المماليك والعصر العثماني، ورأى فيه شباب الأدباء بارقة أمل، فهو يسمح لهم بمحاكاة الأنواع الأدبية الغربية الحديثة، دون أن يُتهموا بأنَّهم غير أدباء، والأهم من ذلك ... هو أنَّه سمح باستخدام اللغة المعاصرة التي أشاعتها الصحافة في الترجمة. (206)

أمّا أسلوب طه حسين، فقد شغل عناني بصفة خاصة لاهتمامه بترجمة لا تقف عند حدود اللفظ والمعنى، بل تتخطاهما لتشمل أسلوب المؤلف الذي أنتج الأصل. وفي كلمات موجزة يوردها عناني في مقدمة ترجمته لـ"خطبة الشيخ" ولكنه يقصد إلى تجربته في ترجمة سابقة، ألا وهي ترجمة "الوعد الحق":

As a couple of years ago I embarked on translating [Hussein's] brief historical narrative, The Fulfilled Promise, I had a mixed vision of hard work and pleasure in doing justice to the style of the great man. It was in fact more delightful than difficult as I went through the narrative, which had the rare advantage of having a sustained mood -that is a tone neither strident nor flagging, which is the sign of a classical style according to the classics specialist F.L. Lucas. (8)

[ساورني منذ عامين شعورٌ بأني مقدمٌ على عمل شاق له لذة حين شرعت في ترجمة رواية طه حسين القصيرة "الوعد الحق"، وذلك وأنا أُجَابهُ مهمة النقل المُنصف لأسلوب هذا الرجل العظيم. وثبت أنَّ اللذة غلبت المشقة وأنا ماضٍ في عملي. ألفيتُ الأصل يتسم بمزية نادرة ألا وهي تواصل المزاج - وتجسد ذلك في نبرة أسلوب لا هي صاخبة ولا هي واهية. وفي ذلك دلالة على أسلوب كلاسيكي على حد قول إف. إل. لوكاس الناقد الخبير في الكلاسيكيات.]

نلمس في الترجمة الإنجليزية أثر تلك الملاحظة الدقيقة، فالأسلوب الإنجليزي يتدفق حيًا فيميل في غير صخب فيما يتصل بشئون الحياة العادية، كأن يسمر عبد المطلب مع أصدقائه:

وقد سمر الفتى مع السامرين، فسمع أحاديث التجار عن غرائب الأقطار: هذا يُحَدِّثُ عن صور بُصرى وعظمتها، وهذا عن الخوَرنَق والسدير، وهذا يذكر غُمدان. (6)

* انظر أعمال محمد عناني في نظرية الترجمة:

The Comparative Tone: Essays in Comparative Literature with Special Reference to English Studies in Egypt, Translation and Culture. GEBO, 1995.

On Translating Arabic: A Cultural Approach. GEBO, 2000.

On Translating Style into Arabic and into English. Anglo-Egyptian Bookshop. 2019.

Abdul-Muttalib joined the circle of men gathered for conversations in the early hours of the evening. He heard the strange tales told by travelling merchants about various places; one spoke of the magnificent sights of the city of Buṣrā, another about al-Khawarnaq and al-Sudair, a third about Ghomdan. (28)

وفي أحيان أخرى نجد الأسلوب يميل إلى الفخامة فتعلو نبرته في الإنجليزية موازية للنبرة الأصلية في نص طه حسين. ومثال ذلك ما نطالع عن عذابات عبد المطلب الليلية حين يزوره الطائف يأمره بحفر زمزم:

"O morning! Come apace! Take a pity on this lost soul! Bring your bright and gleaming whip, with which to disperse such incarnate figures! Scatter these tumultuous shades that surround me." Abdul-Muttalib spends a long, tedious night, and as soon as the sun has clothed the tenements and deserts of Mecca, with its pure and taintless light, he rushes to the mosque, wherein to report what transpired to the priest. (29)

أقبلْ أيها الليل! أسرعْ في الخطى، ارفُق بهذه النفس الحائرة؛ هلمَّ إبل سوطك المشرق المضئ، فبدد به هذه الأشخاص الماثلة، فرِّق به هذه الظلال المضطربة من حولي. ويقضي الفتى ليلا طويلا ثقيلا، حتى إذا كست الشمس بضوئها النقي ظواهر مكة وبطاحها، أسرع الفتى إلى المسجد يريدُ أن يقص أمره على الكاهن. (6)

وأخيرًا، إذا ما أردنا التحقق من موقع الترجمة من حيث إيراد الألفاظ والتعبيرات والتراكيب؛ وهل هي ترجمة تقريب domestication ام تغريب foreignization، فإنَّ التمهيد يشير إلى السياسة المُتبعة في سلسلة ترجمات "فكر العربية وآدابها":

By printing translations in English of some of the most eminent Arabic writers and thinkers, [Cairo University Press] hopes to… give the literary text, meticulously rendered; *to introduce intellectual works in modern, accessible idiom;* and to provide introductions and commentaries on each work published. (3) (italics mine)

[يراود مطابع جامعة القاهرة الأمل، إذ تنشر ترجمات باللغة الإنجليزية لأعمال خطَّها بعض المؤلفين والمفكرين العرب الممتازين، أن تقدم ترجمة أمينة للأعمال الأدبية، وأن تقدم الأعمال الفكرية في لغة حديثة ميسورة القراءة؛ وأن توفر المقدمات والشروح لكل عمل منشور.]

وقد اجتمعت لترجمة عناني لـ"على هامش السيرة" الهدفين الأولين؛ فهي ترجمة أمينة في لغة حديثة. ولذلك فإنَّ الأسلوب المتبع هو التقريب. فعلى سبيل المثال فإنَّ البئر التي "كُشِفت" لعبد المطلب، (35) تصبح the well he had been led to dig up (52)؛ الأمر الذي يُجنِّب القارئ الأجنبي خصوصية "الكشف" ويقرَّب إليه الفهم على نحو سهل ميسور. وجدير بالذكر أن المترجم ، على ذلك، يلجأ في بعض الأحيان إلى سياسة التغريب. ولكنه لا يُقدم عليها إلا إذا كانت الإحالة أو الصورة تفهم من السياق:

وأي شئ أحب إلى أبيه وإخوته من أن يصهروا إلى عظيم خثعم فيأمنوا شياطينها وشياطين مراد، وهذه الأحياء التي تأخذ عليهم طريقهم إلى بلاد اليمن. (42)

His father and brother should like nothing better than to be bonded by marriage to the Great Khath'am! This should ensure safety for their caravans from *the devils* of Khath'am and *the devils* of Murad, as well as *the other clans which interrupt most journey to Yemen*." (57) (italics mine)

أو إذا بادر بإلحاق شرح explicitation يلي اللفظ الذي ليس له مقابل في الإنجليزية، ومثال ذلك:

دونك شيئًا من زبيب الطائف يا زين قريش" (45)

Here is some of al-Ta'if *zabeeb* [sic.][raisin drink], thou pearl of Quraysh!"

مما تقدم نخلص إلى أن القراء الناطقين بالإنجليزية من أهلها لا شك سيجدون في ترجمة محمد عناني لرائعة طه حسين السردية "على هامش السيرة" بغيته ؛ فالترجمة عمل جاد تتصف بالأمانة وسلاسة الأسلوب. كما أنَّ المجال متاح للمتخصصين في دراسات الترجمة كي ينظروا في عمل مترجم فذ لا يبارى جمع في مؤلفاته على مدى ستة عقود نظرات نقدية وممارسات عملية في مجال الترجمة. ولعل هذا البحث المختصر يشير إلى مجالات وإشكالات بحثية تستحق الاهتمام وتستوجب الإضافة. أضف إلى ذلك أنَّ استكمال عناني للمشروع الاستشراقي في مجال السيرة النبوية يُعد تصحيحًا لمساره إن كان قد شاب الانحراف بعض أعماله؛ إذ إن محمد عناني المفكر والمترجم يصدر عن هوية عربية إسلامية خالصة، وعن معرفة عميقة بآداب اللغتين العربية والإنجليزية. وخير ما يُمثل هذه القدرة الفائقة على الجمع بين ثقافتين ما يرد في مقدمته من شرح ناصع البيان للثقافة العربية الإسلامية من جهة، وإشارات إلى مفاهيم النقد الإنجليزي من جهة أخرى توضح للقارئ الأجنبي الأفكار والأساليب متبعًا في ذلك منهج الآداب المقارنة. ولعل في ذلك الأسلوب الذي يتبعه محمد عناني في تقريب العناصر التراثية والوافدة امتدادًا متميزًا لفكر عميد الأدب العربي طه حسين الذي أرسى في عشرينيات القرن الماضي هذا التواصل المثمر بين الغرب والشرق.

ثبت المصادر والمراجع

حسين، طه. من الشاطئ الآخر: كتابات طه حسين الفرنسية، جمعها وعلّق عليها عبد الرشيد الصادق محمودي. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1990.

حسين، طه. على هامش السيرة. جـ 1. دار المعارف، 1933.

الشِلّق، أحمد زكريا. "الهوية وبيان النهضة: قراءة جديدة لكتاب مستقبل الثقافة في مصر". دراسة وتقديم. طه حسين. مستقبل الثقافة في مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013.

Husssein, Taha. Trans. M.M. Enani. The Fulfilled Promise. GEBO, 2016.

_____. Trans. M.M. Enani. The Shaykh's Marriage Proposal. 2019.